

أسفي

على طرف الحي البرتغالي القديم، أجلس بمفردي في مقهى "السفينة"، أنظر إلى المحيط و إلى ضريح الزاوية، حيث يرقد أحد أجدادي، يمرّ عازف العود بطربوشه الأحمر و يمر خلفه طابور من الذكريات: موسيقى في الكنيسة، قصائدُ قرأتها في متحف الخزف، فتاة أحببتُها ربما لازالت تسكن هذا الحي، أصدقاء قدامى كانوا معي في سكة الحديد، أغاني أنريكو ماسياس و رائحةُ السمك، صباحُ الشاي و القصائد المنشورة في جرائد مهملة، الدكاكين الزرقاء والفرنسيات بملابسهن القصيرة على الكورنيش، فتاةُ الأدب الإنجليزي المفتونةُ ببايرون، روائي يتعقب تاريخ اليهود، شاعر من هولندا يبحث في الحي الشعبي عن ظله، رفاق يصطادون كلمات تسبح في هواء الحانة... يتعب عازف العود ويجلس على كرسي من الاسمنت، ينظر إلى المحيط و إلى ضريح الزاوية، حيث يمر أمامه مثلما مرّ أمامي طابور طويل من الذكريات.

الخصار، عبد الرحيم

بيت بعيد (ص. 20)